

السؤال

هل الديوبانديين من أهل السنة ؟
هل هم في حقل الإسلام ؟.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الديوبندية طائفة من طوائف المسلمين ، تنسب إلى جامعة ديوبند - دار العلوم - في الهند . وهي مدرسة فكرية عميقة الجذور طبعت كل خريج منها بطابعها العلمي الخاص ، حتى أصبح ينسب إليها .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

أسس جامعة ديوبند مجموعة من علماء الهند بعد أن قضى الإنجليز على الثورة الإسلامية في الهند عام 1857 م ، فكان تأسيسها رد فعل قوي لوقف الزحف الغربي ومدنيته المادية على شبه القارة الهندية لإنقاذ المسلمين من مخاطر هذه الظروف ، خاصة وأن دلهي العاصمة قد خربت بعد الثورة وسيطر عليها الإنجليز سيطرة كاملة ، وخاف العلماء أن يُبتلع دينهم ، فأخذ الشيخ إمداد الله المهاجر المكي وتلميذه الشيخ محمد قاسم الناناتوي وأصحابهما برسم الخطط للمحافظة على الإسلام وتعاليمه ، فرأوا أن الحل بإقامة المدارس الدينية ، والمراكز الإسلامية ، وهكذا أسست المدرسة الإسلامية العربية بديوبند كمركز للدين والشريعة في الهند في عصر حكومة الإنجليز .

أبرز شخصيات هذه المدرسة الفكرية :

1- محمد قاسم .

2- رشيد أحمد الكنكوهي .

3- حسين أحمد المدني .

4- محمد أنور شاه الكشميري .

5- أبو الحسن الندوي .

6- المحدث حبيب الرحمن الأعظمي .

الأفكار والمعتقدات :

- هم في الأصول (العقيدة) على مذهب أبي منصور الماتريدي في الاعتقاد .

- وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة في الفقه والفروع .

- وسلكوا الطرق الصوفية من النقشبندية والجشبية والقادرية والسهروردية في السلوك والاتباع .

ويمكن تلخيص أفكارهم ومبادئ الدراسة الديوبندية بما يلي :

- المحافظة على التعاليم الإسلامية ، والإبقاء على شوكة الإسلام وشعائره .

- نشر الإسلام ومقاومة المذاهب الهدامة والتبشيرية .

- نشر الثقافة الإسلامية ومحاربة الثقافة الإنجليزية الغازية .

- الاهتمام بنشر اللغة العربية لأنها وسيلة الاستفادة من منابع الشريعة الإسلامية .

- الجمع بين العقل والقلب ، وبين العلم والروحانية .

أنظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب . (1/308) .

وحيث أن الديوبندية تتبنى مذهب الماتريدي في العقيدة فلا بد من التعريف بالماتريدي :

وهي فرقة كلامية ، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي ، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها ، من المعتزلة والجهيمة وغيرهم لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية .

ومن حيث مصدر التلقي فقد قسم الماتريدي أصول الدين حسب مصدر التلقي على قسمين :

الإلهيات (العقليات) : وهي ما يستقل العقل بإثباتها والنقل تابع له ، وتشمل أبواب التوحيد والصفات .

الشرعيات (السمعيات) : وهي الأمور التي يجزم العقل بإمكانها ثبوتاً ونفيّاً ، ولا طريق للعقل إليها مثل : النبوات ، وعذاب القبر ، وأمور الآخرة ، علماً بأن بعضهم جعل النبوات من قبيل العقليات .

ولا يخفى ما في هذا من مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة حيث أن القرآن والسنة وإجماع الصحابة هم مصادر التلقي عندهم ، فضلاً عن مخالفتهم في بدعة تقسيم أصول الدين إلى عقليات وسمعيات ، والتي قامت على فكرة باطلة وضعها الفلاسفة تفترض أن نصوص الدين متعارضة مع العقل ، فعملوا على التوسط بين العقل والنقل ، مما اضطرهم إلى إقحام العقل في غير مجالات بحثه ، فخرجوا بأحكام باطلة تصطدم مع الشرع ألجأتهم إلى التفويض والتأويل ، بينما لا منافاة عند أهل السنة والجماعة بين العقل السليم الصريح والنقل الصحيح . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (1/99) .

موقف أهل السنة من الماتريديّة :

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن هذه الأمة سوف تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وبين عليه الصلاة والسلام أن الفرقة الناجية هي الجماعة ، وهي التي تكون على مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته الكرام .

ولا ريب أن أهل السنة والجماعة المتمسكين بالكتاب والسنة علماً وعملاً هم الفرقة الناجية وذلك لتحقق الوصف فيهم ، وهو الالتزام بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم علماً وعملاً .

فلا يكفي ليكون الفرد أو الجماعة من الفرقة الناجية مجرد الانتساب للسنة مع المخالفة لمنهج السلف من الصحابة والتابعين ، بل لا بد من الالتزام بمنهجهم في العلم والعمل والتصور والسلوك .

والماتريديّة من الطوائف التي في أقوالها حق وباطل ومخالفة للسنة ، ومعلوم أن هذه الطوائف تتفاوت في مدى القرب والبعد من الحق ، فإن كل من كان أقرب إلى السنة كان أقرب إلى الحق والصواب ، فمنهم " من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة ، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة ، ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه ، فيكون محموداً فيما رده من الباطل وما قاله من الحق ، لكن يكون قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق ، وقال بعض الباطل فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها ، ورد بالباطل باطلاً بباطل أخف منه ، وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة ... " انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الفتاوى (1/348) .

بقيت مسألة مهمة هنا وهي : ما هو واجبنا تجاه الماتريديّة ، ومن نحى نحوهم في العقيدة كالديوبندية وغيرهم ؟

والجواب يختلف باختلاف الأشخاص :

فمن كان منهم معانداً داعياً إلى بدعته فيجب التحذير منه وبيان ضلاله وانحرافه ، وأما من لم يكن داعياً إلى بدعته واتضح من قوله وعمله طلب الحق والسعي إليه فإنه يُنصح وبيّن له خطأ هذا المعتقد وإرشاده بالتّي هي أحسن ، لعل الله أن يردّه إلى الحق ، وهذه النصيحة داخلة في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَالْأَئِمَّةِ



المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ " رواه مسلم (55)